

المحاضرة العاشرة

الشخصية الروائية والايديولوجيا

باعتبار أن الأديب في حاجة الى عناصر بنائية يوضح بها رؤيته الايديولوجية فان الشخصية أهم أداة في يد المبدع لبنية روايته.

فحسب كل الذين نظروا للرواية أو كتبوا عنها أنها لا تقوم دون جملة من الأحداث و عادة ما يتولى القيام بالحدث فاعل، و بالتالي لا يوجد هذا الجنس الأدبي دون حدث و دون فاعل يقوم به و هذا الفاعل هو الشخصية .

حيث تحتل الشخصية مكانة أساسية فهي من الجانب الموضوعي أداة و وسيلة الروائي للتعبير عن رؤيته، و هي من الناحية الفنية و الجمالية بمثابة الطاقة الدافعة التي تتحلّق حولها كل عناصر السرد على اعتبار أنها تشكّل المختبر للقيم الانسانية التي يتم نقلها من الحياة و مجادلتها أدبيا داخل النص لدرجة أن بعض المهتمين بالشأن الروائي يميلون الى القول بأن الرواية شخصية، بمعنى اعتبارها القيمة المهيمنة في الرواية. و بما أن الرواية تهدف الى تجسيد المعاني الانسانية فمن الطبيعي أن تكون الشخصية هي محورها، فالرواية ليست حياة حقيقية بل حياة نصية توازيها و تمثلها، و بالتالي فان الواقع يشكّل المصدر الأكبر لالتقاط الشخصيات الروائية، يعيد الروائي انتاجها وفق مقتضيات الرواية . و يوظف الروائي الشخصية لتقم بدورها ضمن حبكة محددة بترتيب ما

و الشخصية كائن خيالي يطمح الى الوجود من خلال اللغة التي يشكلها المؤلف و يقدمها بطرق شتى و أساليب مختلفة سردا أو وصفا أو حوارا و ما الى ذلك

و الشخصية تظهر و تختفي بناء على الدور الذي تؤديه و الغاية المرجوة من ظهورها، و هي مرئية بعيون المؤلف و مرصودة بأعين القراء، المبدع يعرف كل شيء عن الشخصية التي يخلقها، حتى لو تظاهر أحيانا بغير ذلك.

ان تكوين الشخصية في العمل الروائي مسألة شاقة و صعبة، لأنها مطالبة بأن تتحرك في عالمها المرسوم حركة الأحياء الذين نعرفهم و نعلم بوجودهم بيننا، و ملامحها الظاهرية و الباطنية يجب أن ترسم بطريقة مقنعة - و هي الشخصية المتخيلة - تتفاعل مع الوسط الذي وضعت فيه فتستجيب لهذا الباعث أو ذاك فتأخذ طريقها بالبناء على ذلك و قد تصطدم بما شاء المؤلف أن تصطدم به من عقبات، فتواجه و قد تنهزم و قد تنتصر، ترفض و تقبل كما لو كانت حقيقية.

و المعلومات المقدمة عن الشخصية بكل أشكالها تخلق من أبعاد مدروسة و تصاغ لكي تستجيب لحاجة العمل الأدبي أي الكشف عن مستواها الفكري و دوافعها النفسية و منطلقاتها العاطفية لتتناسب مع منطق و أحداث الرواية بما تمليه رؤيته الخاصة و جوّ الرواية العام ، هذا الجوّ الذي يكون ضمن أربعة مناحي: مادية و اجتماعية و نفسية و ايدولوجية.

فالروائي يركز لك عبقريته الابداعية لرسم ملامح الشخصية و التهويل من شأنها و السعي الى اعطائه دورا أساسيا تنهض به تحت رقابته - الروائي يعرف كل شيء سلفا عن شخصيات روايته - و ذلك بسبب هيمنة النزعة التاريخية و الاجتماعية و الايدولوجية على المبدعين. لأن الروائي عندما يرسم سمات ملامح شخصياته يظهرها من خلال المواقف التي تقع فيها الشخصيات و بقدر ما يكون الروائي قادرا على تصوير الشخصية من الناحيتين الفكرية و النفسية تزداد قدرته على ايجاد الاشكالات التي تصنع موقفا نلمحها في أنفسنا أو في أناس نحس بهم.

فالنظرة الأساسية للأديب و الروائي بوجه خاص تطلب منه المساهمة في بناء الانسان حتى يتمكن من الصمود أمام التحدّيات المتجددة التي تواجهه ، و يساهم في بناء مستقبل الأجيال . و قد تطوّر مفهوم الشخصية كمكوّن سردي هام و أساسي في بناء الرواية على يد المبدعين و النقاد ، و جوهر هذا التطور يتمثل في الحدّ من سطوة الشخصية في العمل الروائي.

حيث كانت في الرواية التقليدية تعامل و كأنها كائن حيّ توصف ملامحها و أهواءها و هواجسها و أبعادها النفسية و الاجتماعية كما رأينا ذلك عند رواد الرواية التقليدية.

فالروائي (نجيب محفوظ) مثلا يعطي عناية فائقة لشخصياته لأن رواياته ذات رسالة و هذا النوع لا يستهدف لذة القارئ فقط و انما يدعو الى التدبّر و التفكير من خلال التوفيق بين الفنية و الفكرة التي يريد ايصالها للمتلقي من خلال شخصيات مختلفة في نظرتها للحياة و مصوّرة بشكل فني دقيق فتبدو نابضة بالحياة لا يحس القارئ بأنها شخصيات فنية ليس لها وجود حقيقي الا في ثنايا الكلمات للرواية و تعابيرها ، لأنها مصوّرة بطرق مختلفة و دقيقة أما في الرواية الجديدة فنجد أن الشخصية خفّ بريقها و ذلك دلالة على ضياع شخصية الفرد ، و غياب تأثيره حيث حاول الروائيون و النقاد التقليل من سلطتها في الرواية فهي مجرد عنصر شكلي تقني للغة الروائية مثل الوصف و السرد و الحوار ..

و كان من النقاد الجدد من أنصفوا الشخصية مثل (تودوروف) الذي يرى دورها أساسيا و حاسما بحكم أنها المكوّن الذي تنتظم انطلاقا منه مختلف عناصر الرواية ...

و بصفة عامة اذا كانت الشخصية في الرواية التقليدية فرصة لتحقيق التفرد و البطولة فانها في الرواية الحديثة لا تعني أكثر من حرص شديد على التنسيق مع الآخرين في اهتماماتهم ، و الرواية في النهاية تفتخر بطرحها الموضوعي لمأساة الانسان و محتته.

هدف المحاضرة العام :

توظيف الشخصية لايقال الرؤية الايديولوجية للروائي
طبيعة الشخصية الروائية ودورها في النص
تطور مفهوم الشخصية

المراجع :

الرواية و الايديولوجيا في المغرب العربي سعيد علوش
اتجاهات الرواية العربية بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الأعرج واسيني
الرواية والواقع محمد كامل الخطيب

انشطة التقويم :

اسئلة حول الأفكار الرئيسية في المحاضرة.
كتابة مقال حول علاقة الشخصية بالايديولوجيا.